صناعة الأحذية وتجارتها في مصر عصر سلاطين المماليك

(٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)

د.محمد جمال حامد الشوربجي

باحث في التاريخ والحضارة الإسلامية

مُلخَّص:

تتحدَّث هذه الدراسة عن صناعة الأحذية وتجارتها في مصر عصر سلاطين المماليك، وقد عَرَّفَتُ فيها بأنواع الأحذية المُستعملة في ذلك العصر، وأنواع المواد الخام المُستخدمة في صناعتها، بالإضافة إلى أماكن تركُّز الأساكفة، وأشهر الشخصيات التي عملت بهذه الحرفة.

كما بيَّنتُ موقف الدولة من هذه الصناعة والاتجار فيها، وأثر هذه السياسة على صناعة الأحذية وأسعارها، وختمتُها بالتعريف بوظيفة حفظ الأحذية كأحد الوظائف التي ارتبطت بالأحذية، وارتباط الأحذية بالعقاب وحوادث الوفاة.

مُقدِّمة:

كان وما يزال التاريخ الحضاري لعصر سلاطين المماليك في حاجة لدارسات دقيقة مُتخصِّصة تعني بتفاصيل الجهاز الإداري للدولة، ومظاهر الحياة الاقتصادية والاجتماعية والدينية لطبقات المجتمع وفئاتهِ المُختلفة على اتساع رقعة أراضي السلطنة المملوكية، فعلى الرغم من وجود عدد من الدراسات التي تناولت الحرف والصناعات في العصر المملوكي[١] إلا أنَّ موضوع الدراسة لم ينل

---

[١] من هذه الدراسات: دراسة سياف عبد حسين: الصناعات والحرف والمهن في مصر المملوكية، مجلة كلية الآداب، جامعة ديالي، ديالي- العراق، ع٦٠، ٢٠١٣م، ص١-٢٧؛ لم يتحدث فيها قط عن الاسكافي فضلاً عن موضوع الدراسة بصورته الكبيرة، ودراسة نسيبة جاد سليمان جاد: أرباب الحرف والصناعات في المجتمع المصري في العصر المملوكي الأول (٦٤٨-٧٨٤هـ/ ١٢٥٠-١٣٨٢م)، ماجستير، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ٢٠١٤م، ٤٤٩ص، وهي دراسة طيبة إلا أنها لم تتحدث عن موضوع الدراسة مع إشارة سريعة للأسواق فقط.

(ISSN: 2536 - 9555)

حظَّه منها، ولا توجد دراسة واحدة تناولت موضوع البحث على حد علمي، وهُنا كان الدافع لهذه الدراسة لسد اللبنات الناقصة في تاريخ المجتمع المصري في العصر المملوكي.

وتهدف الدراسة إلى التعريف بأنواع الأحذية، وأنواع المواد الخام المُستخدمة في صناعتها، بالإضافة إلى أماكن تركُّز الإسكافيين، وأشهر الشخصيات التي عملت بهذه الحرفة، كما توضِّح موقف الدولة من هذه الصناعة والاتجار فيها، والذي تمثَّل في: الاحتساب، وفرض الضرائب المُختلفة، ورمي المواد الخام عليهم بالسعر الذي تُحدِّده، وأثر هذه السياسة على صناعة الأحذية وأسعارها، وتُختم هذه الدراسة بالتعريف بوظيفة حفظ الأحذية– في المؤسسات الدينية وعند السلاطين والأمراء– كأحد الوظائف التي ارتبطت بالأحذية.

١–العوامل المُؤثِّرة على صناعة الأحذية:

ألقى الثراء الذي تمتعت به مصر في العصر المملوكي من جرَّاء التحكُّم في طريق التجارة بين الشرق والغرب وبخاصة تجارة التوابل بظلالهِ على صناعة الأحذية، فتنوعت في الأشكال والألوان[٢] والخامات، وساعد هذا النشاط التجاري على جلب بعض المواد الخام كالجلود من خارج مصر، وإدخال أنواع جديدة من الأحذية، استطاع المصريون مُحاكاتها، والاستفادة منها في صناعة أشكال أُخرى.

كما ساعد هذا الثراء على ظهور ما يُعرف اليوم بـ"الموضة"، والتي كانت أحد العوامل التي أسهمت في نشاط هذه الصناعة، وقد شهدت سنة٧٥٠هـ/١٣٤٩م تطورًا كبيرًا في موضة أخفاف النساء وسرموزاتها، وزاد الإقبال عليها من قِبَل النساء، حتى وصل سعر الواحدة منها خمسمائة درهم ممَّا حدا بالوزير منجك اليوسفي[٣] مُعتمِدًا على فتاوى العُلماء أن يأمر بمنع الأساكفة من بيع الأخفاف

---

[٢] ابن زنبل: انفصال دولة الأوان، ق٢١أ. وأيضًا: أولج فولكف: القاهرة مدينة ألف ليلة وليلة، ص١٠٧.

[٣] هو أحد أكابر الأمراء، تولى الوزارة والاستادارية ونيابة طرابلس، وتوفي سنة ٧٧٦هـ. انظر: ابن تغري بردي: الدليل الشافي، ج٢، ص٧٤٣.

والسراميز الجديدة، وأن تُعمل كما كانت تُعمل أولًا، فامتثل الأساكفة للأمر[٤]، لكن لم يلبث الأمر أن عاد للظهور مرَّة ثانية سنة ٧٥١هـ/١٣٥٠م، فأمر السُلطان حسن بن محمد بن قلاوون في فترة سلطنته الأولى (٧٤٨-٧٥٢هـ/ ١٣٤٧-١٣٥١م) بإبطال ما أحدثته النساء من لبس الأخفاف الزركش[٥].

أضف إلى ذلك التنوع العِرْقي الذي حوته مصر خلال تلك الفترة، فكان المصري والشامي، والمغربي، والأندلسي جنبًا إلى جنب العراقي، والفارسي، واليوناني، والإيطالي ... إلخ، وهؤلاء حملوا معهم من ثقافة بلادهم ما كان له تأثيره على هذه الصناعة، ومؤكد أنَّ منهم من كان يعمل بصنعة الأحذية، وهؤلاء كان لهم أسلوبهم في الصناعة من حيث الشكل وتركيب الخامات.

٢-أنواع الأحذية:

عرف المصريون القباقيب الخشبية بكافة أشكالها وألوانها، فارتدت طبقة الخاصة القباقيب التي كانت تُزيَّن بالزخارف، وتُرصَّع بالذهب والفضة والألماس والأحجار الكريمة وغيرها[٦]، وهي من الأحذية المُفضَّلة للنساء في المنازل[٧]، وكان لكل طبقة أو مُستوى مُعيَّن من الشعب النوع المُناسب له من هذه القباقيب حسب نوع الخشب المُستخدم والزخارف التي تنقش عليه، حتى الفقراء كان لهم نوع بسيط من القباقيب، ومن أشهر أنواع القباقيب التي عُرِفَتْ في العصر المملوكي "القُبقاب الشبراوي": نسبة إلى قرية "شَبرا الخيام" إحدى ضواحي القاهرة[٨].

---

[٤] المقريزي: السلوك، ج٢، ص٨١٠-٨١١؛ درر العقود الفريدة، ج٣، ص٤٢٤.

[٥] ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٥٣٦.

[٦] المقريزي: المقفى الكبير، ج٦، ص٣٨٦؛ السلوك، ج٣، ص٢٠٣؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص١١١. وأيضاً: رينهارت دوزي: تكملة المعاجم العربية، ج٨، ص١٧٤؛ المعجم المفصل بأسماء الملابس، ص١٧٤.

[٧] ماير: الملابس المملوكية، ص١٢٩؛ دوزي: تكملة المعاجم العربية، ج٨، ص١٧٤؛ المعجم المفصل لأسماء الملابس، ص١٧٤.

[٨] ابن زنبل: انفصال دولة الأوان، ج٢، ق١أ.

(ISSN: 2536 - 9555)

وكانت النساء تنتعل هذا النوع لتفادي جر أذيال أثوابهن على الأرض، أو لإطالة قامتهن، حيثُ تعلو عن الأرض في بعض الأحيان خمسة عشر سنتيمتر، وهو ارتفاع القطعتين الخشبيتين الحاملتين للقُبقاب[٩]، وهذا النوع المُرتفع وُجِدَ أيضًا في الحمَّامات العامة لتفادي الماء المُستعمل من الاستحمام، والبُعد عن النجاسات. كما كانت الأنواع العادية منه الملبوس الأساسي في الحمَّامات العامة وأماكن الوضوء في المساجد، لأنه أكثر استحمالًا للماء وثباتًا على أرضية الحمَّام أو فسقية الوضوء.

كما عرف المصريون الأخفاف التي كانت تُصنع من الجلد من ألوان مُختلفة، ومنها ما اختلط فيها لونان، ويتكون الخُفّ من "الصِلَال وهي بطانة الخُفّ، والقرطوم، وهو منقار الخُفّ الذي في طرفه، والقرنوس، وهو خرزة في أعلى الخُفّ، وساق الخف أي رقبته"[١٠].

وكان الأمراء وأعيان الجُند يلبسون في الصيف الأخفاف البيض العلوية، وفي الشتاء الأخفاف الصُفر من الأديم الطائفي، ويشدُّونَ المهاميز المُسقَّطة بالفضة على الخُفّ، ولا يُكفَّت مهمازه بالذهب إلا من له إقطاع من أجناد الحلقة[١١].

أمَّا ما يلبسه السُّلطان من الأحذية فقال عنه ابن شاهين الظاهري (ت: ٨٧٣هـ/١٤٦٨م):

"ويليق به لبس الأخفاف البيض مع القُماش الأبيض والأصفر، وهو في الشتاء مع القماش الصوف، وهيئة الخُفّ مشهورة، ويكون الخُفّ ببطانة بعلبكي وتزكاوات، وصفتهم بأزرار وعُرا وأُكر، إمَّا عنبر أو لؤلؤ أو ذهب أو فضة أو حرير مُقصَّب، ولفائف يُلف بهِم الرِّجْل عند لبس الخُفّ، والأليق أن يكونوا بيضًا سُذجًا، ويُلبس فوق الخُفّ المهاميز، وصفة المهماز: إمَّا أن يكون قالبه ذهبًا أو فضة وسقطُه ذهبًا، وإمَّا أن يكون حديدًا مُكفَّتًا بالذهب مطلي وسقطه فضة، ولا بُدَّ

---

[٩] دوزي: تكملة المعاجم العربية، ج٨، ص١٧٤؛ المعجم المفصل لأسماء الملابس، مج١٠، ج٣، ص١٧٤؛ رجب عبد الجواد: المعجم العربي لأسماء الملابس، ص٣٧٤، وانظر الصورة الملحقة بالدراسة.

[١٠] ابن سيده: المخصص، ج٤، ص١١٤. وأيضا: إبراهيم ماضي: زي أمراء المماليك، ص١٦٧.

[١١] ابن فضل الله: مسالك الأبصار، ص٢٨-٢٩؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٤١.

من السِّيْر السرداقي، والمهاميز أصناف عديدة، منها: البركاوي وهو بغير حد، ومنها الشيخوني وهو كُتلة، ومنها به حز، ومنها صنف بهِ عُقدة، ومنها صنف أشرفي.

ويليق بهِ لبس سراميج الخُفّ عند لبس الخُفّ، وصفتها بُرغالي سُود ببطانة من الحور الأحمر، ولها ميَّالة من ظاهرها وكعب مظفورين، ونعلها من الآدم المدبوغ بالعفص، والبُرغالي يُصنع من أكفال الحمير، يُصنع على دخن ليصير كهيئة الحب من غير نونة.

ويليق به لبس المشَّايات بغير خُفّ، والمشَّاية بنونة مُستوية في التفصيل، ويليق بهِ لبس المداس الناصرية، وصفتها من الجلد الطائفي ببطانة حمراء مكسورة الكعب، ويليق بهِ لبس القُبقاب في أماكن مخصوصة"[١٢].

ولم تُحدِّثنا المصادر التاريخية- على حد علمي- عن ذلك سوى مرة واحدة خرج السُّلطان قانصوه الغوري (٩٠٦-٩٢٢هـ/١٥٠١-١٥١٦م) لصلاة عيد الفطر سنة ٩٠٥هـ/١٤٩٩م وهو يلبس مشَّاية من الجلد البُرغَالي الأبيض، وعليها خُفّ أبيض بمهاميز مكفَّتة بالفضة البيضاء[١٣]، شأنه في ذلك شأن كبار الأمراء الذين كانوا يُنافسونه في التحلّي بأجمل وأغلى الأخفاف.

وكان المماليك قبل سلطنة المنصور قلاوون (٦٧٨-٦٨٩هـ/١٢٧٩-١٢٩٠م) يلبسون أخفاف بُرغالي سوداء[١٤]، ومن فوقها خُفّ ثاني يُسمَّى "سقمان"[١٥]، فلمَّا تولى غيَّر أشكال هذه الأخفاف للأحسن[١٦]، ولا ندري ماهية هذا الشكل الحسن لعدم وصول نماذج منها تعود للعصر المملوكي على حد علمي.

---

[١٢] زبدة كشف الممالك، ق٩٣أ، ب.

[١٣] ابن إياس: بدائع الزهور، ج٣، ص٤٣٢.

[١٤] هو خف من جلد الفرس مبطن بجلد ذئب. انظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٧، ص٣٣١ هامش٤.

[١٥] هو خف يلبس فوق خف أخر. انظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٧، ص٣٣١ هامش٥.

[١٦] العيني: عقد الجمان، حوادث (٦٨٩-٦٩٨هـ)، ص١٧؛ السحماوي: الثغر الباسم، ج٢، ص٢٢٩؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٧، ص٣٣١؛ القُدسي: دول الإسلام الشريفة،

(ISSN: 2536 - 9555)

وقد وردت إشارة إلى نوع آخر من الأخفاف كان من مُتعلَّقات الخِلَع السُّلطانية للوزراء، وهذا النوع كان يُسمَّى "الدَّلكش"[١٧]، ويُصنع من الحرير[١٨].

أمَّا الخليفة فكان الأصل أن يلبس الأخفاف بغير مهاميز، لكنه كان تارة يلبس المهاميز وتارة يتركهم[١٩]، وكان أرباب الوظائف الدينية من القُضاة وسائر العلماء يلبسون الأخفاف من الأديم الطائفي بغير مهاميز[٢٠].

وأرى أنَّ المغاربة والأندلسيين كان لهم دور في صناعة هذه الأخفاف في مصر؛ نظرًا لمهارتهم الكبيرة في صناعة هذا النوع، وحاجة المغاربة والأندلسيين المُقيمين بمصر إلى الأنواع التي كانوا يلبسونها في بلادهم.

ومن أشهر أنواع الأحذية المُستخدمة بكثرة في ذلك الوقت النعل المُسمَّى "سرموزة"[٢١]، وهو نوع من الأحذية القصيرة التي تُخلع عند دخول المنزل، ويُطلق عليها عِدَّة مُسمَّيات ما هي إلا تحريف للسرموزة، وهي: "الزرموزة، السرموج، والجرموق[٢٢]"، وكانت تُلبس غالبًا فوق الخُفّ الذي يُصنع من جلد مُلَّون[٢٣]، وهذا النوع وإن كان صُنِعَ للنساء أو كان أكثر من تلبسه النساء إلا أنَّ الرجال نالوا حظًّا منه مع بعض تغيير[٢٤].

ص٤٦؛ السيوطي: حسن المحاضرة، ج٢، ص١١١؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٣٦٢.

[١٧] أعتقد أن هذا الاسم جاء من كلمة الدلكش الفارسية والتي تعني جذاب.

[١٨] المقريزي: درر العقود الفريدة، ج١، ص١٠٤.

[١٩] زبدة كشف الممالك، ق٩٣ ب.

[٢٠] القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٤٢.

[٢١] هو لفظ فارسي يتكون من (سر) بمعنى رأس و(موزة) بمعنى خف. انظر: المقريزي: الخطط، ج٣، ص٣٤٦.

[٢٢] هو خف صغير يلبس فوق خف. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ص٦٠٧.

[٢٣] ماير: الملابس المملوكية، ص١٢٩؛ دوزي: تكملة المعاجم العربية، ج٦، ص٦٨؛ المعجم المفصل لأسماء الملابس، مج٩، ج٢، ص٥٣.

[٢٤] الكتبي: فوات الوفيات، ج٢، ص١٠٢؛ السيوطي: المحاضرات والمحاورات، ص٢٤٤-٢٤٥.

وقد يكون هذا النوع هو ما قصده الرَّحَّالة چيل ليبوڤى(Gilles le Bovvies) الذي زار القاهرة سنة ٨٥٤هـ/١٤٥٠م في قوله عن أهل المدينة "أنَّ أهلها يلبسون نعالاً صفراء، وعندما يكونوا في الخان يخلعونها حتى يُريحوا أقدامهم"[٢٥]، ولعلَّ هذا النوع هو الذي أصبح يُطلق عليه فيما بعد عند العامة اسم "السَّرْمَة"[٢٦].

وبجانب السرموزة والأخفاف والقباقيب وُجِدَت أنواع أخرى طويلة الرقبة بها خرز، وأُخرى لامعة مُذهَّبة تلبسها النساء[٢٧]، وثالثة مَثنِي جانب منها تحت القَدَم، وكان يرتديها القليل من الناس[٢٨].

كما عرف المصريون نوع من الأحذية يُسمَّى "اللوالك" وهي جمع لولك، وذُكِرَ هذا النوع في حادثة قتل الوزير علم الدين الشُّجاعي سنة٦٩٤هـ/١٢٩٣م[٢٩]، وقد تكون هي المعروفة اليوم باسم "اللكلوك"، وهو نوع من الأحذية المنزلية الخفيفة للمشي داخله فقط، وبخاصة في فصل الشتاء لتدفئة القَدَم.

وقد نالت نساء السلاطين والأمراء أغلى هذه الأنواع سالفة الذكر، ففي مُصادرة السُّلطان للأمير أقبُغا بن عبد الواحد سنة٧٤٢هـ/١٣٤١م بِيعَ لزوجته قُبقاب وخُفّ وسرموزة بخمسة وسبعين ألف درهم[٣٠]، ولمَّا ماتت خوند بنت السُّلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة٧٥٠هـ/١٣٤٩م بِيْعَتْ مُمتلكاتها بالقلعة، فكان منها قُبقاب مُرصَّع بأربعين ألف درهم[٣١].

---

[٢٥] لم أقف على رحلة هذا الرحالة، فلهذا اعتمدت على ما ذكره أولج فولكف منها. انظر: القاهرة مدينة ألف ليلة وليلة، ص١٠٧.

[٢٦] دوزي: تكملة المعاجم العربية، ج٦، ص٦٨.

[27] Jean Thenaud: publie par Charles Schefer, Paris, 1864, p.56.

وأيضًا: فايز نجيب إسكندر: القاهرة زمن المماليك الجراكسة في عيني الرحالة الفرنسي جان ثونو، ص٢٦٣.

[٢٨] ابن الوزان: وصف إفريقيا، ج٢، ص١٨٧.

[٢٩] ابن شاكر الكتبي: عيون التواريخ، ج٣، ص١٨٦.

[٣٠] المقريزي: المقفى الكبير، ج٢، ص٢٦٠؛ السلوك، ج٢، ص٥٦٤.

[٣١] المقريزي: السلوك، ج٢، ص٨١٤؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٢٤٧.

(ISSN: 2536 - 9555)

وعن المواصفات الجيدة للسرموزة يقول السيوطي (ت:٩١١هـ/١٥٠٥م) نقلاً عن شرف بن أسد المصري (ت:٧٣٨هـ/١٣٣٧م):

"وأتحفني بسرموزة أنعم من الموزة، وأقوى من الصوان، وأطول عُمرًا من الزمان، خالية البواشي مُطبقة الحواشي، لا يتغيَّر عليها وشيها، ولا يروعني مشيها، لا تنفلت إذا وطئت بها جروفًا، ولا تنفلت إذا طحت بها مكانًا خسوفًا، لا تلتوق من أجلي، ولا يؤلمها ثُقلي، ولا تمترق من رجلي، ولا تتعوج ولا تتلقوج، ولا تنبعج ولا تنفلج، ولا تَقِبْ تحت الرِجْل، ولا تلتصق بخُبز الفِجْل، ظاهرها كالزعفران، وباطنها كشقاق النُعمان، أخف من ريش الطير، شديدة البأس على السير، طويلة الكِعَاب، عالية الأجناب، لا يلحق بها التُراب، ولا يُغرقها ماء السحاب، تصر صرير الباب، وتلمع كالسراب، وأديمها من غير جراب، جلدها من خالص جلود الماعز، ما لبسها ذليل إلا افتخر بها وعز، مخروزة كخرز الخردفوش، وهي أخف من المنقوش، مسمرة بالحديد مُمنطقة، ثابتة في الأرض الزلقة، نعلها من جلد الأفيلة"[٣٢].

- **المواد والأدوات المُستخدمة في الصناعة:**

استخدم الإسكافيون جميع أنواع الجلود عدا جلد الخنزير المُحرَّم استعماله في هذه الصناعة، فوجدت أحذية من جلد الحمار والبقر والخيل والماعز والذئاب والزراف وغيرها[٣٣] لتُناسب جميع الفئات والطبقات، كما كانت مصر تستورد من بلاد الحجاز نوع من الجلود يُعرف بالأديم الطائفي[٣٤]، وكانت المدابغ المُنتشرة في القاهرة وغيرها تمد هؤلاء بهذه الأنواع المختلفة، وكان يتم إنتاج أنواع مُقاربة أو

---

[٣٢] الكتبي: فوات الوفيات، ج٢، ص١٠٢؛ السيوطي: المحاضرات والمحاورات، ص٢٤٤-٢٤٥.

[٣٣] الكتبي: فوات الوفيات، ج٢، ص١٠٢؛ ابن مكانس: محاورة بين أهل الحرف، ص٥١؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٧، ص٣٣١ هامش٤؛ السيوطي: المحاضرات والمحاورات، ص٢٤٤-٢٤٥؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٤٤. وأيضاً: أولج فولكف: القاهرة مدينة ألف ليلة وليلة، ص٧٧.

[٣٤] القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٤٢.

مُشابهة لبعض الأنواع المُستوردة، ففي حيّ الحُسينية بالقاهرة مثلاً وُجِدَتْ عِدَّة مدابغ لصناعة الأديم المُشَبَّه بالطائفي[٣٥].

كما استعمل هؤلاء المعادن مثل الحديد، والنحاس، والفضة، والذهب في صناعة الأحذية[٣٦] ومعها الأحجار الكريمة التي كانت تُصنع منها الفصوص التي كانت تلبَّس في التجاويف الخشبية[٣٧]، وبالنسبة للذهب، والفضة، والأحجار الكريمة فلم يكن يقدر على اقتنائها إلا كبار الأساكفة.

كما استخدموا في صناعة القباقيب عدد من الأخشاب المُتنوعة التي تُناسب حال المُشتري، واستعمل الإسكافيون بجانب هذه المواد الخام عدد من الأدوات منها المقص، والمسلة، والمنشار، والخيوط المُختلِفَة الألوان، والمطرقة والسِندَان الحديدي، والقِرمَة الخشبية التي يُثبَّت عليها السِندَان؛ وتتم عليها الكثير من عمليات التصنيع[٣٨]، وكان الإسكافي في ذلك العصر يستخدم عدد من القوالب الخشبية المُختلِفَة كنماذج ليصنع عليها الأحذية[٣٩]، ولا تزال هذه الأدوات يستعملها الإسكافي حتى اليوم.

ولم يقتصر دور الإسكافي على إنتاج الأحذية المُختلِفَة الأشكال والألوان بل كان يقوم بخياطة وإصلاح القديم منها[٤٠] والذي يُطلق عليه في اللغة العامية المصرية "البرطوشة"[٤١]، وتلميعُه بالصبغات الطبيعة والكيميائية كل حذاء حسب لونه.

- **الأحذية وأعمال البر:**

---

[٣٥] المقريزي: الخطط، ج٣، ص٦٢.

[٣٦] الكتبي: فوات الوفيات، ج٢، ص١٠٢؛ السيوطي: المحاضرات والمحاورات، ص٢٤٤-٢٤٥.

[٣٧] ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص١١١.

[٣٨] المقريزي: درر العقود الفريدة، ج٢، ص٥٥٨.

[٣٩] ابن مكانس: محاورة بين أهل الحرف، ص٥٠-٥١.

[٤٠] الدواداري: كنز الدرر، ج٦، ص٤٦٧.

[٤١] السيوطي: حسن المحاضرة، ج٢، ص٢٩٨. وأيضًا: دوزي: تكملة المعاجم العربية، ج١، ص٢٩٤.

(ISSN: 2536 - 9555)

وممَّا تجدُر الإشارة إليه أنّ عدد من أفراد الشعب المصري وبخاصة الفقراء والأُجراء والعبيد ومن على شاكلتهم كانوا يمشون حُفاه، ولا يجدوا ما يقي أقدامهم من أذى الطريق، وقد أشار إلى هذه النقطة الرابي ميشولام بن مناحم الفولتيري الذي زار مصر في سنة ٨٨٦هـ/١٤٨١م، ووصف العامة في الإسكندرية بأنهم يمشون حُفاه كالجِمَال بلا أحذية(٤٢)، وكذا وصف بوم جارتن عامة القاهرة بأنهم "لا يرتدون أحذية في القَدَم، ويسيرون حُفاه، والقليل منهم يرتدي أحذية خشبية وجوارب"(٤٣).

ولهذا شكَّلت عملية توزيع الأحذية على طلبة العلم في المؤسسات التعليمية والدينية، والفقراء والمساكين صورة من صور أعمال البر، فقد اشترط السُلطان حسن بن محمد بن قلاوون في حُجَّة وقفه على مدرسته أن يشتري الناظر من ريع الوقف ألف قميص وطاقة ومداس، فيُعطى لكل طالب من طلبة العلم بالمدارس الأربعة قميص وطاقية ومداس، ويُعطى لكل يتيم من الأيتام والمؤدبين والعرفين مثل ذلك، والباقي يُفرَّق على الفُقراء والمساكين من جيران المكان وغيرهم(٤٤)، كما اشترط نصر بن عبد الله الجركسي على ناظر وقفه أن يصرف للأيتام كسوتين الأولى في الصيف والأخرى في الشتاء، وكانت النعال من ضمن تفاصيل الكسوة(٤٥).

- **أماكن تركُّز الإسكافيين:**

تركز محل عمل هؤلاء الإسكافيون في منطقة الصاغة تجاه المدرسة الصالحية بخط بين القصرين حيث شكلوا جزء من سوق الزجاجيين، وظلت مساكنهم به حتى عهد المقريزي (ت:٨٤٥هـ/١٤٤٢م)(٤٦)، أضف إلى ذلك منطقة

(42) Meshullam Ben manahem: Itinerary of Rabbi Meshullam Ben manahem of 1481, ed: Adler, P.159.

(43) Baumgarten: The travel of martin Baumgarten through Egypt, syria, palstine, p479.

(٤٤) محمد محمد أمين: مصارف أوقاف السُلطان الملك الناصر حسن، ص٤١٧.

(٤٥) حجة وقف نصر بن عبد الله الجركسي، رقم ٥٣٢ أوقاف. نقلاً عن: عبد الغني محمود عبد العاطي: التعليم في مصر، ص١١١.

(٤٦) المقريزي: الخطط، ج٣، ص٣٣٨.

الصليبة الطولونية بجوار مدرسة الأمير تغري بردي البكلمشي المؤذي[٤٧]، وقد ظلوا بهذا المكان حتى أواخر القرن ١٣هـ/١٩م[٤٨]، وسقيفة العدَّاسين التي عُرِفَتْ أيام ابن عبد الظاهر (ت:٦٩٢هـ/١٢٩٣م) بالأساكفة والبندقانيين[٤٩].

كما كان لهم مكان بالرُّكن المُخَلَّق خلف خانقاه سعيد السعداء[٥٠]، وتواجد فريق منهم في حوانيت قيسارية السُّلطان بيبرس الجاشنكير (٧٠٨-٧٠٩هـ/١٣٠٨-١٣٠٩م) على رأس باب الجوذرية بالقاهرة، وظلوا بها حتى عهد المقريزي (ت:٨٤٥هـ/١٤٤٢م) الذي أمدنا بمعلومات مُهمَّة عن الإيجار الشهري الذي يدفعه هؤلاء؛ وهو ما بين ثمانية إلى عشرة دراهم حسب حالة الحانوت وموقعه[٥١]، وبالطبع كان الحانوت يشمل في معظم الأحيان مكان التصنيع ومكان البيع حيثُ يعرض الإسكافي ما يُنتجَه على واجهة مَحلِّه لجلب الزبائن كما يفعلون إلى اليوم.

وهذه الأماكن التي تركَّز فيها عملهم تواجد سكنهم، وهذا ساعد على تنمية وتقوية الروابط الاجتماعية بين أبناء الحرفة سواء بالمُجالسة أو المُصاهرة، وكل هذا كان يتم تحت رعاية شيخ الطائفة الذي كانت مُهِمَّتُه إدارة وتنظيم شئون الصنعة، والتحدُّث باسمهم أمام الدولة، وفي هذه الحوانيت تواجد العديد من الصِبْيَة الذين جاءوا للتعلُّم، وتستمر فترة التدريب والتعليم حتى يُتقن الصبي

---

[٤٧] ابن الصيرفي: إنباء الهصر، ص٢٦١-٢٦٣؛ عبد الباسط الحنفي: المجمع المفنن، ص٧٣٧. وعن ترجمة هذا الأمير انظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٢٣٠؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٢٧.

[٤٨] علي باشا مبارك: الخطط التوفيقية، ج٣، ص١٨١.

[٤٩] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية، ص٥٦.

[٥٠] المقريزي: الخطط، ج٢، ص٤٣٢؛ البقاعي: عنوان الزمان، ج١، ص٨٥. أما خانقاة سعيد السعداء فهي: دار تعرف في العصر الفاطمي باسم سعيد السعداء، وقد حولها صلاح الدين من دار إلى خانقاه لفقراء الصوفية القادمين من الشام وأوقفها عليهم سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م، ولذلك عرفت بالناصرية والصلاحية. انظر: عاصم محمد: خانقاوات الصوفية في مصر، ج١، ص١٢٨.

[٥١] المقريزي: الخطط، ج٣، ص٢٩٤-٢٩٥.

(ISSN: 2536 - 9555)

الصنعة ويحفظ أسرارها حتى إذا ما أصبح مُتقنًا لها استقل بذاته، وفتح حانوته الخاص، ودرَّب من أراد تعلُّم الصنعة من الصِبْيَة[٥٢].

لم يقتصر وجود صانعي الأحذية على القاهرة بل تواجدوا في كل الأقاليم والمُدن المصرية؛ وذلك لأنها من الحِرَف الضرورية التي لا يُمكن الاستغناء عنها، وقد أشارت النصوص الأثرية التي عُثِرَ عليها إلى تواجد عدد لا بأس به من الأساكفة بمدينة سوهاج بالصعيد[٥٣].

- **العاملين في الصنعة:**

ذكرت لنا المصادر التاريخية أسماء بعض من امتهن صناعة الأحذية والاتجار فيها حتى أصبح شيخًا لطائفته فكان منهم: شهاب الدين أحمد بن عبد القادر النشاوي الحنفي (ت:٨٨٤هـ/١٤٨٠م) الذي مهر في صناعة السرموزة "السراميج" حتى صار مَعلِّمًا مُعتبرًا بين أهل صنعته لكنه ترك الصنعة بعد فترة وانصرف إلى طلب العلم[٥٤]، وإسماعيل بن أحمد بن أبي بكر الأخفافي (ت:٨٧٨هـ/١٤٧٦م) الذي كان وجيهًا بين أرباب حرفته[٥٥]، وممَّن عمل بهذه الحرفة ثم تركها محمد بن علي بن شعبان القاهري (ت:٨٩٣هـ/١٤٨٨م)[٥٦].

وكان بعض هؤلاء على قدر من الثقافة الدينية نتيجة حضوره مجالس العلم فعُرِفَ عن إسماعيل بن أحمد الأخفافي (ت:٨٧٨هـ/١٤٧٦م) بأنه ممَّن يُداوم على حضور مجالس ابن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ/١٤٤٨م)[٥٧]، بجانب اهتمام المُحتسِب بين الحين والآخر بتعليم هؤلاء وغيرهم بعض السور القرآنية

---

[٥٢] للمزيد انظر: علي السيد علي: سبل نقل الخبرة لدى أبناء الطوائف الحرفية في عصر سلاطين المماليك، نشر ضمن كتاب بحوث في التاريخ الاجتماعي من العصر المملوكي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠١٤م، ص١٥٣–١٧٥

[٥٣] انظر مُلحق١.

[٥٤] البقاعي: عنوان الزمان، ج١، ص٨٥؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج١، ص٣٥٢.

[٥٥] السخاوي: الضوء اللامع، ج٢، ص٢٩٠.

[٥٦] السخاوي: الضوء اللامع، ج٨، ص١٨٥.

[٥٧] السخاوي: الضوء اللامع، ج٢، ص٢٩٠.

وبخاصة الفاتحة وقصار السور ليقرؤوا بها في صلاتهم، وذلك على يد عدد من الفقهاء، وكان الفقيه يأخذ على من يُعَلِّمَه فلسين كما حدث سنة ٧٩٠هـ/١٣٨٨م[٥٨].

كما عُرِفَ عن الإسكافيين أنَّ لهم لغتهم الخاصة التي لا يعرفها إلا أبناء الصنعة شأنهم في ذلك شأن الكثير من الطوائف الأخرى بعضها خاص بأسماء المُعِدَّات والجلود وطريقة التصنيع، وبعضها لغة سِرِّية بينهم عبارة عن مجموعة كلمات ذات مدلول مُغاير للمدلول الحقيقي للكلمة[٥٩].

- **أسواق بيع الأحذية:**

وفيما يخُصّ أسواق الأحذية، فقد عُرِفَ لهم سوق هو جزء من سوق الحريريين بمنطقة الصاغة تجاه المدرسة الصالحية بخط بين القصرين؛ ظلُّوا به مُدَّة حتى عَمَّرَ الأمير يونس النوروزي الدوادار[٦٠] قيساريته بعد سنة ٧٨٤هـ/١٤٨٢م فنقل منه بيَّاعِي أخفاف النساء ونعالهم وأسكنهم بحوانيتها الخارجية[٦١]، ولم تقتصر تجارة الأخفاف على الوسط المحلِّي بل كانت هناك عمليات استيراد لبعض الأنواع المشهورة في ذلك الوقت مثل "الأخفاف البُرغالي" بألوانها الأبيض والأسود من

---

[٥٨] ابن الفرات: تاريخه، مج٩، ج١، ص٢٥.

[٥٩] ذكرت إلهام حسين دحروج عدد من المصطلحات السرية الخاصة بالإسكافيين منها: اخلع فرده: أسكت، رغلة: أكل، محز مشفور: صاحب المحل حرامي، محط: رجل، هندازة: امرأة"، وللأسف لم تذكر المصدر التي اعتمدت عليه في هذه المعلومات فآثرت وضعها في الحاشية للاستئناس بها، وبخاصة بعد أن ارتبت في هذه المعلومات لما عرفت أن هندازة هي الذراع الذي تقاس به الثياب ونحوها، وهي إحدى أدوات القياس عند الإسكافي. انظر: ملاحن بعض الحرفيين في أسواق مصر المملوكية، ص٢٥٦.

[٦٠] هو الأمير سيف الدين يونس بن عبد الله النوروزي دوادار السُلطان الظاهر برقوق، وأحد عظماء دولته، مات مقتولاً على يد شيخ عربان آل مرا أثناء عودتهِ منهزماً إلى القاهرة سنة ٧٩١هـ/١٣٨٩م. انظر: ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٤، ص٢٦٣-٢٦٤. والدوادار: هو الممسك بالدواة السُلطانية، ويقوم بإبلاغ الرسائل عنه وتقديم الشكاوى إليه. انظر: سعيد عبد الفتاح عاشور: العصر المماليكي، ص٤٣٨.

[٦١] المقريزي: الخطط، ج٣، ص٣٣٨، ٣٤٦.

(ISSN: 2536 - 9555)

منطقة بُلغاريا بالقرب من روسيا، ومؤكد أنَّ التجارة المغربية كان لها دور في إدخال العديد من نماذج الأحذية المغربية مُختلفة الأشكال والألوان، وساعد على نشاط هذا النوع كثرة المغاربة والأندلسيين في مصر.

- **سياسة الدولة تجاه صناعة الأحذية والعاملين بها:**

كانت سياسة الدولة تجاه هؤلاء تتلخص في ثلاثة أمور هي: الاحتساب، والرمي، والمكس، فقد وكّلت الدولة إلى المُحتسِب أمر الإشراف على هذه الحرفة، والذي بدوره وضع على صانعي الأحذية عِدَّة ضوابط في صناعتهم، ونبَّه عليها، وحذَّر من مُخالفتها منها: "ألا يُكثرون حشو الخِرَق البالية فيما بين البشتيك والبطانة، ولا بين النعل والظهارة، وكذا لا تُحشى بخبز الفجل، ويشدُّون حشو الأعقاب، ولا يشدُّون نعلاً قد أحرقته الدباغة أو لم يتم دبغه، وينبغي أن يُحكِمُوا إبرام الخيط، ولا يطولونه أكثر من ذراع لأنه إذا طال أكثر من ذلك تقشر فانتقض إبرامه وضعف عن الجذب، ولا يخرزون بشعر الخنزير[٦٢] بل يجعلون عوضه ليف أو شارب الثعلب، ولا يُماطلون أحد بمتاعهِ إلا أن يُحددوا لصاحبهِ يوم معلوم، فإنَّ الناس يتضررون بالتردُّد إليهم، وبحبس الأمتعة عنهم، ولا يعملون الورق واللبد وأشباهه في أخفاف النساء فإنه قبيح وشهرة لا تليق بالأحرار؛ ولهذا يمنع المحتسب من عملهِ ولبسِه"[٦٣].

كما كان المُحتسِب ينهى ويُحذِّر العاملين بالحمامات العامة من أن يسمحوا للأساكفة بغسل وتنظيف الجلود في الحمام، لأنَّ الناس يتضررون من رائحة الدباغة[٦٤]، وإذا كان إيكال مُراقبة شئون هذه الحرفة للمُحتسِب أمر جيد لإصلاح المعوج فيها، فإنَّ مسألة رمي الجلود ونحوها عليهم وبضعف السعر في كثير من الأحيان كان لها أسوء الأثر على هذه الحرفة لأنها ستدفع هؤلاء إلى الغش في الصناعة ورفع سعر المُنتج، والغريب أنَّ المُحتسِب مهمته منع هاتين النقطتين فيا الله! كيف تضع الدولة هؤلاء بين مطرقة الرمي وسندان الاحتساب؟ وكأنها تقول

---

[٦٢] السبكي: معيد النعم ومبيد النقم، ص٢٦٣.

[٦٣] الشيزري: نهاية الرتبة، ص٧٣؛ السبكي: معيد النعم، ص١٤٦؛ القدسي: بذل النصائح الشرعية، ج١، ص٣٨٢؛ ابن طولون: نقد الطالب لزغل المناصب، ص١٦٣.

[٦٤] الشيزري: نهاية الرتبة، ص٨٨؛ ابن الأخوة: معالم القربة، ص١٥٦؛ السبكي: معيد النعم، ص١٤٦؛ ابن الطولوني: نقد الطالب، ص١٦٣.

لهم انتحروا، لهذا نرى قوم من هؤلاء يدعون على أنفسهم بالموت وأن يُخَلِّصَهُم الله ممَّا هُم فيه.

ومن الأمثلة على ذلك ما رماه ديوان الدولة برئاسة موسى بن يوسف المعروف بابن كاتب غريب (ت:٨٨٢هـ/١٤٧٧م)[٦٥]- القائم بأعمال الوزير- على الأساكفة من الجلود التي خرَّجها من المدابغ في رمضان سنة ٨٧٥هـ/ فبراير ١٤٧٠م فوزَّعها على أماكنهم بين القصرين والصليبة بضعف سعر السوق بالإضافة إلى ما غرموه لأعوانه، فأخذ أساكفة بين القصرين الجلود، ودفعوا ما قُرِّرَ من مال وصبروا واحتسبوا.

وأمَّا أساكفة الصليبة فكانوا أكثر حكمة إذ أخذوا الجلود منهم ووعدوهم ببعض الثمن، فلمَّا أصبحوا انطلقوا إلى السُّلطان ليشكوا من الظُلم الذي حاق بهم فردهم خُدَّام الحوش السُّلطاني، فصعدوا أعلى الجبل المُقَابِل لحوش السُّلطان واستغاثوا، فسأل السُّلطان عن أمرهم فأخبروه بحالهم، وأنَّ ابن غريب رمى عليهم بزيادة عن السعر فأذاهم وضَرَّهُم فغضب السُّلطان على ابن غريب، وأمر الأمير يشبك من مهدي[٦٦] بأن يرد عن الأساكفة ما رُمِيَ عليهم من جلود ولا يأخذوا منه شيء فأعاد هؤلاء الجلود إلى مُباشري الدولة[٦٧]. إضافة إلى ما سبق قامت الدولة بفرض عدد من المُكوس على هؤلاء منها: مكس الجلود الذي أبطله السُّلطان الظاهر برقوق سنة٧٩١هـ/١٤٨٩م[٦٨] ثم عاد مرة أخرى ثم أُبطل في شوال سنة ٨٥٣هـ/نوفمبر١٤٤٩م من سوق النعال بالركن المُخلَّق بين القصرين- وكان به قيسارية للجلود أنشأتها خوند بركة أم السُّلطان الأشرف شعبان (ت:٧٧٤هـ/١٣٧٢م)[٦٩]- ومن سائر الأسواق[٧٠].

---

[٦٥] عن ترجمته انظر: السخاوي: الضوء اللامع، ج١٠، ص١٩٢.

[٦٦] من أكابر الأمراء بالديار المصرية، تولى كشف ونيابة الوجه القبلي، ثم تولى في عهد قايتباي الوزارة والدوادارية، ثم توجه باش على العسكر المتوجه لقتال شاه سوار واستطاع القبض عليه وإحضاره إلى القاهرة سنة ٨٧٧هـ/١٤٧٢م، وقتل على يد بايندر- أمير الرها- أثناء مهاجمتها سنة ٨٨٥هـ/١٤٨٠م. انظر: الضوء اللامع، ج١٠، ص٢٧٢-٢٧٤.

[٦٧] ابن الصيرفي: إنباء الهصر، ص٢٦١-٢٦٢.

[٦٨] المقريزي: السلوك، ج٣، ص٦٠٥.

[٦٩] ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص١١٥.

(ISSN: 2536 - 9555)

أمَّا مكس الأخفاف فكان يُفرض فيه على كل تاجر أربعمائة درهم فلوس، لكنها زادت على يد الوزير ابن غريب، فوقف تُجَّار سوق الأخفاف في شهر جمادى الآخر سنة٨٧٦هـ/نوفمبر١٤٧١م للسلطان بعد أن قدموا إليه شكوى تتضمن أنَّ الوزير استجد عليهم مظلمة؛ وهي أنه كان عليهم في كل شهر أربعمائة درهم فلوس فصار يأخذها ثلاثة آلاف درهم، فأمر السُّلطان الوزير أن يُجريهم على عادتهم، فاتجهوا إليه فما وافق لكنه خففها إلى ألف وخمسمائة درهم، فوقفوا للسلطان مرة أخرى، فأبطل مكس الأخفاف مُطلقًا[٧١].

وفي عهد السُّلطان قانصوه الغوري (٩٠٦-٩٢٢هـ/١٥٠١-١٥١٦م) صدر مرسوم في سنة ٩٠٧هـ/١٥٠١م بمنع التعرُّض لعدد من أهل الحرف بسوهاج منهم الأساكفة، وكتب ذلك على لوح رخامي عُلِّقَ في الجامع العتيق بسوهاج (انظر ملحق١).

وبالإضافة إلى هذه السياسة الجائرة شكَّل غلاء أسعار المواد الخام عاملاً في تدهور حال هذه الصناعة؛ وبخاصة في العصر المملوكي الجركسي (٧٨٤-٩٢٣هـ/١٣٨٢-١٥١٧م)، فكثيراً ما يرتفع سعر هذه المواد كما حدث في سنة ٨٢٧هـ/١٤٢٣م حيث بلغ الرطل من الحديد المُعدّ للاستخدام إلى عشرين درهماً. أمَّا النحاس فوصل الرطل منه إلى أزيد من ثلاثين درهمًا، ووصلت التطبيقة من النعال إلى سبعين درهماً[٧٢].

أضف إلى ذلك ارتفاع أجور الصُّنَّاع نتيجة اضطراب السياسة النقدية للدولة، وهذا بالطبع كان له تأثيره على سعر الأخفاف والنِّعال، ولم تكتف الدولة بكل ما سبق بل كانت تأمرهم بالمُساهمة في أعمال الحفر الخاصة بالنيل بالمال والرجال كما حدث في سنة ٨١٨هـ/١٤١٤م[٧٣]، هذا علاوة على تعرُّض أسواق الأخفاف وحوانيت صُنْعِهَا للنهب والسرقة في فترات الاضطراب الأمني[٧٤].

---

[٧٠] السخاوي: التبر المسبوك، ج٢، ص١٨٠.

[٧١] الصيرفي: إنباء الهصر، ص٣٦٢-٣٦٣.

[٧٢] ابن الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج٣، ص٧٠.

[٧٣] الصيرفي: نزهة النفوس، ج١، ص٣٤٩.

[٧٤] ابن تغري بردي: مورد اللطافة، ج٢، ص٩٢.

- **وظائف ارتبطت بالأحذية:**

وممَّا هو جدير بالذكر أنَّ هذه الأحذية ارتبطت بها وظيفة لا تزال موجودة حتى يومنا هذا ألا وهي وظيفة حفظ النِعَال خوفًا عليها من السرقة[٧٥]، وقد انتشرت هذه الوظيفة في المؤسسات الدينية كالمساجد والخانقاوات، وممَّن عمل بها علي بن موسى بن هارون الزيَّات المُقرئ (ت:٨٧٦هـ/١٤٧١م) الذي وُكِّلَ إليه حفظ نِعَال صوفية خانقاتيّ سعيد السعداء والبيبرسية[٧٦].

أمَّا نعال السلاطين والأمراء فقد كان المُوكَّل بحفظها شخص يُسمَّى "بشمقدار"[٧٧]، وقُدِّرَ عدد هؤلاء بأربعة أشخاص على نوبتين[٧٨]، وممَّن عمل بهذه الوظيفة: أيدكين البشمقدار في عهد السُلطان عز الدين أيبك (٦٤٨-٦٥٤هـ/١٢٥٠-١٢٥٦م)[٧٩]، وزين الدين قراجا بن عبد الله الظاهري (ت:٨١٣هـ/١٤٠٩م)، وكزل العجمي (٨٤٩هـ/١٤٤٥م) بشمقدار السُلطان الظاهر برقوق[٨٠]، وتنبك بن عبد الله المصارع (ت:٨٣٦هـ/١٤٣٢م) في عهد السُلطان المؤيد شيخ المحمودي[٨١]، والأمير بردبك بن عبد الله الظاهري (ت:٨٨٢هـ/١٤٧٧م) في عهد السُلطان الظاهر جقمق[٨٢] وغيرهم، ويُعتَقد أنّ رنك البشمقدار كان على هيئة "نعل"[٨٣].

---

[٧٥] السخاوي: الضوء اللامع، ج٧، ص٩٠.

[٧٦] السخاوي: الضوء اللامع، ج٦، ص٤٤. والخانقاه البيبرسية: هي خانقاه أنشأها ركن الدين بيبرس الجاشنكير قبل أن يلي السلطنة بموضع دار الوزارة تجاه رحبة باب العيد سنة ٧٠٩هـ/١٣٠٩م، وقرر بها أربعمائة صوفي وأوقف عليها. انظر: ابن قاضي شهبه: طبقات الشافعية، ج٢، ص٢٤٧.

[٧٧] القلقشندي: صبح الأعشى، ج٥، ص٤٥٩.

[٧٨] ابن شاهين: زبدة كشف الممالك، ص١١٦. وأيضاً: عبد المنعم ماجد: نظم دولة سلاطين المماليك، ج٢، ص٥٢.

[٧٩] المقريزي: السلوك، ج١، ص٤٠٢.

[٨٠] السخاوي: الضوء اللامع، ج٦، ص٢٢٨.

[٨١] ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٤، تحقيق: محمد محمد أمين، ص٢٣.

[٨٢] ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٣، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز، ص٢٥٥؛ البقاعي: إظهار العصر، ج١، ص٩٦. وعن ترجمة الأمير بردبك. انظر: السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٧.

[٨٣] حسن الباشا: الفنون الإسلامية، ج١، ص٣٠٤.

(ISSN: 2536 - 9555)

- **الأحذية والعقاب:**

مثَّلت هذه الأحذية بأنواعها المُخْتَلِفَة أداة من أدوات العقاب والإهانة والموت، ومشهور أنَّ القُبقاب كان أداة القتل التي أنهت حياة شجر الدر– زوجة الملك الصالح نجم الدين أيوب ثم عز الدين أيبك– حيث سلَّمها المنصور علي بن أيبك في سنة٦٥٥هـ/١٢٥٧م لأُمِّهِ التي أمرت جواريها بأن يضربوها بالقباقيب والنِّعال حتى ماتت(٨٤)، وكذا كانت أداة عقاب في يد الشيخ أبو السعود الجارحي(٨٥) الذي أمر في شوال سنة ٩٢٢هـ/أكتوبر١٥١٦م بكشف رأس الزيني بركات مُحتَسِب القاهرة (ت:٩٢٨هـ/١٥٢٢م)، وضربه بالنِّعال حتى كاد أن يهلك(٨٦).

كما كانت سببًا في موت قاضي القضاة الحنفي إبراهيم بن عبد الرحمن الكركي في شعبان سنة ٩٢٢هـ/أغسطس١٥١٦م، فقد انزلقت رجله بالقبقاب وهو يتوضأ؛ فسقط في بركة الفيل فغرق(٨٧)، وفي حادثة قتل الوزير علم الدين الشجاعي سنة٦٩٤هـ/١٢٩٣م كانت الناس تُعطي للذي يطوف بالرأس شيء من المال، وتأخذ الرأس لداخل المنزل فيضربه أهل البيت باللوالك(٨٨).

خاتمة:

خَلُصَتْ الدراسة إلى أنّ صناعة الأحذية كانت من الصناعات النشطة في العصر المملوكي، وقد أثَّرت فيها العديد من العوامل يأتي على رأسها ثراء دولة المماليك التي نتج عنه ترف بعض الفئات الاجتماعية فظهرت الموضة، بجانب التنوع العرقي وغيره.

---

(٨٤) ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٢٩٤.

(٨٥) هو أبو السعود محمد بن دغيم، كان والده من أعيان تجار ناحية كوم الجارح بالقاهرة، ونشأ محمد على العبادة والزهد وتلقي علوم الدين، وصحب شهاب الدين المرحومي أحد تلامذة الشيخ مدين المتأخرين، وكانت له أحوال في العبادة، توفى سنة ٩٢٩هـ/١٥٢٣م وصلي عليه بجامع عمرو بن العاص، ودفن بزاويته بكوم الجارح في السرداب الذي كان يتعبد فيه. انظر: الغزي: الكواكب السائرة، ج١، ص٤٧؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج١٠، ص٢٣١.

(٨٦) ابن إياس: بدائع الزهور، ج٥، ص١١٣.

(٨٧) ابن إياس: بدائع الزهور، ج٥، ص٦٦.

(٨٨) ابن شاكر الكتبي: عيون التواريخ، ج٣، ص١٨٦.

وقد استخدم العاملون في هذه الصنعة كل أنواع الجلود عدا جلد الخنزير، وكذا المعادن والأحجار الكريمة ونحوها، وتركز هؤلاء في أحد مكانين في القاهرة منطقة بين القصرين، ومنطقة الصليبة الطولونية، وكان عدد من هؤلاء على قدر كبير من الثقافة الدينية واللغوية. أضف إلى ذلك أن أماكن التصنيع كانت في الغالب أماكن التجارة، كما كانت هذه الأماكن بها مساكنهم وتجمعاتهم والتي نتج عنها الترابط الأسري بالمصاهرات، ووجود لغة خاصة بهم بعضها خاص بالصنعة وبعضها خاص بلغة التفاهم حتى لا يفهم الزبون مقصد الإسكافي.

وكانت سياسة الدولة تجاه هؤلاء شأنهم شأن الكثير غيرهم قائمة على الاحتساب ورمي المواد الخام والمكوس، وهذا كان الشطط في ذلك له تأثيره السلبي على هذه الصناعة، ولم يكن يُخفِّف من حِدَّة الأزمة سِوىَ بعض القرارات الحكيمة بين الحين والآخر كإلغاء بعض المكوس، ومنع الرمي إلى غير ذلك.

كما أشارت الدراسة إلى وظيفة حفظ الأحذية كأحد الوظائف المرتبطة بموضوع الدراسة وذكرت أنها كانت قسمين قسم خاص بحفظ نعال السلاطين والأمراء ويُسمَّى صاحبها "بشمقدار"، ولهذه الوظيفة رسومها، والقسم الآخر هي وظيفة الحفظ بالمنشآت الدينية، كما أشارت الدراسة إلى استخدام الأحذية في العقاب، وتسببها في حدوث بعض الوفيات.

(ISSN: 2536 - 9555)

(ملحق١)

نص إسقاط المكوس عن إسكافية سوهاج

كُتِبَ نص هذا المرسوم على لوح من الرخام مقاسه ١٢٥× ٥٠سم، وثُبِّتَ على قاعدة المئذنة بالجامع العتيق المعروف بـ"الفرشوطي" بسوهاج من بلاد الصعيد، وجاء فيه.

بسم الله الرحمن الرحيم

رسم بأمر مولانا المقام الشريف السُّلطان الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغوري– خَلَّدَ الله مُلكه وثبّت قواعد دولته– بمنع من يتعرض للبزَّازين، والصناعية الفزارين، والإسكافية بناحية سوهاج في وقف الشهيد الأشرف قايتبَاي– رحم الله عهده– المُنتهي بنظر المقر الأتابك أتابك العساكر المنصورة أعز الله أنصاره، وأنَّ المَغرم الذي عليهم مقطوع لوالد الولد إكرامًا للنبي صلى الله عليه وسلم، واستجلابًا لدُّعاء المُجابا في الصحائف الشريفة يسّر الله تعالى بتاريخ ..."[٨٩].

صورة حانوت لصنع الأحذية والاتجار فيها يعود إلى سنة ١٥٦٨م

[٨٩] نصر عوض حسين: دراسة في المراسيم الصادرة عن دولة سلاطين المماليك، ص٢٢٨؛ سعاد ماهر محمد: مساجد مصر، ج١، ص٢٥٧.

https://ar.wikipedia.org

نموذج لاستخدام القبقاب في الحمامات العامة
ويظهر لك ارتفاعاته المختلفة
https://ar.wikipedia.org

(ISSN: 2536 - 9555)

ثبت المصادر والمراجع

- **الوثائق المنشورة:**
- مصارف أوقاف السُلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون على مصالح القبة والجامع والمدرسة ومكتب السبيل، (الوثيقة رقم ٦/٤٠ المحفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة، وصورتها رقم ٨٨١ ق المحفوظة بأرشيف وزارة الأوقاف بالقاهرة)، دراسة ونشر وتحقيق: محمد محمد أمين، نشرت ضمن ملاحق الجزء الثالث من كتاب تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه لابن حبيب الحلبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦م.
- **المصادر العربية:**
- ابن الأخوة (محمد بن محمد القرشي ت:٧٢٩هـ/١٣٢٨م): معالم القربة في أحكام الحسبة، تحقيق: روبن ليوي، مطبعة دار الفنون، كمبردج– انجلترا، ١٩٣٧م.
- ابن إياس (محمد بن أحمد الحنفي ت: بعد٩٣٠هـ/١٥٢٤م): بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج١، ق٢، تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م.

البقاعي (إبراهيم بن حسن ت: ٨٨٥هـ/١٤٨٠م):

- إظهار العصر لأسرار أهل العصر، ج١، تحقيق: محمد سالم بن شديد العوفي، هجر للطباعة والنشر، الجيزة، ط١، ١٩٩٢م.
- عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران، ج١، تحقيق: حسن حبشي، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٩م.

ابن تغري بردي (أبو المحاسن يوسف ت:٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م):

- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، ج٤، تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٧، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٨م.
- مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، ج٢، تحقيق: نبيل عبد العزيز، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط٢، ٢٠١٢م.
- الدليل الشافي على المنهل الصافي، ج٢، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ت.
- الدواداري (أبو بكر بن عبد الله بن أيبك ت: ٧٣٦هـ/١٣٣٥م): كنز الدرر وجامع الغرر، ج٦ (الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية)، تحقيق: صلاح الدين المنجد، المعهد الألماني للآثار، القاهرة، ١٩٦١م.

ابن زنبل (أحمد بن علي المحلي ت: بعد٩٧٥هـ/١٥٦٧م):

- تاريخ الدولة العثمانية، مخطوطة بمكتبة جامعة الملك سعود، الرياض، رقم ٣٨٠٣ز.
- تاريخ السُلطان سليم العثماني مع السُلطان قانصوه الغوري، ج٢، مخطوطة بدار الكتب المصرية بالقاهرة، رقم ٤٤تاريخ.
- السبكي (عبد الوهاب على بن عبد الكافي ت:٧٧١هـ/ ١٣٦٩م): معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق: محمد على النجار وغيره، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٣م.
- السحماوي (شمس الدين محمد ت:٨٦٨هـ/١٤٦٤م): الثغر الباسم في صناعة الكاتب والكاتم، ج٢، تحقيق: أشرف محمد أنس، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٣م.

السخاوي (محمد بن عبد الرحمن ت: ٩٠٢هـ/١٤٩٦م):

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج٢، ١٠، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.
- التبر المسبوك في ذيل السلوك، ج٢، تحقيق: لبيبة إبراهيم مصطفى، نجوى مصطفى كامل، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- ابن سيده (علي بن إسماعيل ت:٤٥٨هـ/١٠٦٥م): المخصص، ج٤، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.

السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن محمد ت:٩١١هـ/١٥٠٥م):

- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، ج٢، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط١، ١٩٦٧م.
- المحاضرات والمحاورات، تحقيق: يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.

ابن شاهين (غرس الدين خليل الظاهري ت: ٨٧٣هـ/١٤٦٨م):

- زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تحقيق: بولس روايس، باريس، ١٨٩٤م.
- زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، مخطوط بمكتبة أحمد الثالث باستانبول، رقم ٢٩٩٠.
- الشيزري (عبد الرحمن بن نصر ت: ٥٨٩هـ/١١٩٣م): نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق: السيد الباز العريني، لجنة التأليف والنشر والترجمة، القاهرة، ١٩٤٦م.

ابن الصيرفي (على بن داود ت: ٩٠٠هـ/١٤٩٥م):

- نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، ج٣، تحقيق: حسن حبشي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٧٣م.
- إنباء الهصر بأنباء العصر، تحقيق: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٢م.

(ISSN: 2536 - 9555)

- ابن طولون (محمد الصالحي الدمشقي ت:٩٥٣هـ/١٥٤٦م): نقد الطالب لزغل المناصب، تحقيق: محمد أحمد دهمان وخالد محمد دهمان، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.
- عبد الباسط الحنفي (عبد الباسط بن خليل بن شاهين ت:٩٢٠هـ/١٥١٤م): المجمع المفنن بالمعجم المعنون، تحقيق: عبد الله الكندري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ٢٠١١م.
- ابن عبد الظاهر (محي الدين عبد الله ت: ٦٩٢هـ/١٢٩٣م): الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، أوراق شرقية للنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
- العيني (بدر الدين محمود بن أحمد ت:٨٥٥هـ/١٤٥١م): عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، حوادث (٦٨٩–٦٩٨هـ)، تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩م.
- ابن العماد (عبد الحي بن أحمد الحنبلي ت: ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج١٠، تحقيق: محمود الأرناءوط وعبد القادر الأرناءوط، دار بن كثير، دمشق، ط١، ١٩٩٣م.
- الغزي (نجم الدين بن محمد بن أحمد العامري الغزي ت: ١٠٦١هـ/١٦٤٩م): الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة، ج١، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
- ابن الفرات (محمد بن عبد الرحيم ت: ٨٠٧هـ/١٣٥٦م): تاريخ ابن الفرات، مج٩، ج١، تحقيق: قسطنطين زريق، المطبعة الأمريكانية، بيروت،١٩٣٦م.
- ابن فضل الله العمري (شهاب الدين أحمد بن يحيى ت: ٧٤٩هـ/١٣٤٨م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار "ممالك مصر والشام والحجاز واليمن"، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٥م.
- ابن قاضي شهبة (أبو بكر أحمد بن قاضي شهبة ت:٨٥١هـ/١٤٤٨م): طبقات الشافعية، ج٢، تحقيق: عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

القُدسي (محب الدين محمد بن خليل ت: ٨٨٨هـ/١٤٨٣م):

- بذل النصائح الشرعية فيما على السُلطان والأمراء وسائر الرعية، ج١، تحقيق: سالم بن طعمة الشمري، رسالة ماجستير في الدعوة والاحتساب، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٩٩٦م.
- دول الإسلام الشريفة البهية وذكر ما ظهر لى من حكم الله الخفية في جلب طائفة الأتراك إلى الديار المصرية، تحقيق: صبحي لبيب، وأولريش هارمان، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

- القلقشندي (أحمد بن على ت:٨٢١هـ/١٤١٨م): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج٤، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- الكتبي (محمد بن شاكر ت:٧٦٤هـ/١٣٦٢م):
- فوات الوفيات، ج٢، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٣م.
- عيون التواريخ، ج٣، تحقيق: أحمد عبد الستار، وزينب علي البنداري، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، ٢٠١٧م.

المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي ت: ٨٤٥هـ/١٤٤٢م):

- المقفى الكبير، ج٦، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩١م.
- درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، ج٣، تحقيق: محمود الجليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج٣، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ٢٠٠٤م.
- السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٢، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٩م.
- ابن مكانس (فخر الدين بن مكانس المصري ت:٧٩٤هـ/١٣٩٣م): محاورة بين أهل الحرف، تحقيق: أمينة محمد جمال الدين، دار الهداية، القاهرة، ١٩٩٧م.
- ابن منظور (محمد بن مكرم الأنصاري ت:٧١١هـ/١٣١١م): لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩-١٩٨٠م.
- ابن الوزان (الحسن بن محمد الفاسي ت: بعد ٩٢٧هـ/١٥٢١م): وصف إفريقيا، ج٢، ترجمة: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.

المصادر الأجنبية:

- Meshullam Ben manahem: Itinerary of Rabbi Meshullam Ben manahem of 1481, ed: Adler, in J T, London, 1930.
- Baumgarten: The travel of martin Baumgarten through Egypt, syria, palstine, London, N. D.

المراجع

- إبراهيم ماضي: زي أمراء المماليك في مصر والشام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٩م.
- إلهام حسين دحروج: ملاحن بعض الحرفيين في أسواق مصر المملوكية، بحث منشور في كتاب "ندوة تاريخ الوطن العربي عبر العصور التاريخ الاقتصادي"، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، ٢٠٠٦م.

(ISSN: 2536 - 9555)

- أولج فولكف: القاهرة مدينة ألف ليلة وليلة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦م.
- حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، ج١، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٥م.
- رجب عبد الجواد إبراهيم: المعجم العربي لأسماء الملابس من الجاهلية حتى العصر الحديث، دار الأفاق العربية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م.

رينهارت دوزي:

- تكملة المعاجم العربية، ج٨، ترجمة: محمد سليم النعيمي، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩٧م.
- المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة: أكرم فاضل، مجلة اللسان العربي، الربط– المملكة المغربية، مج١٠، ج٣، د.ت.
- سعاد ماهر محمد: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ج١، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ٢٠١٠م.
- سعيد عبد الفتاح عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة، ط٢، ١٩٧٦م.
- عاصم محمد رزق: خانقاوات الصوفية في مصر، ج١، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ت.
- عبد الغني محمود عبد العاطي: التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك، دار العارف، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٢م.
- عبد المنعم ماجد: نظم دولة سلاطين المماليك ورسوم في مصر، ج٢، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٨٢م.
- علي باشا مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة، ج٣، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط٢، ٢٠١٤م.
- فايز نجيب إسكندر: القاهرة زمن المماليك الجراكسة في عيني الرحالة الفرنسي جان ثونو(محرم ٩١٨هـ/ مارس ١٥١٢م) "دراسة تحليلية نقدية مقارنة بمصادر الرحالة الأوروبيين المعاصرين، بحث مقدم للمؤتمر الدولي الثالث لقسمي التاريخ والحضارة واللغة الفرنسية وآدابها بجامعة قناة السويس تحت عنوان "العلاقات المصرية الفرنسية عبر العصور"، إبريل ٢٠١١م.
- ماير: الملابس المملوكية، ترجمة: صالح الشيتي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٢م.
- نصر عوض حسين: دراسة في المراسيم الصادرة عن دولة سلاطين المماليك البحرية والجراكسة، دكتوراه تاريخ وأثار إسلامية، كلية الآداب، جامعة سوهاج، ١٩٨٩م.